1. **المنهج التاريخي**

**مفهومه**

يعد المنهج التاريخي من أقدم المناهج التي أولت اهتمامها في دراسة الأدب منذ ولادته و تطوره عبر الزمن و كل مراحل نموه.

يقوم هذا المنهج على دراسة الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للعصر الذي ينتمي اليه الادب، ويتخذ منها وسيلة أو طريقا لفهم الادب، وتفسير خصائصه واستجلاء كوامنه وغوامضه، انطلاقاً من الايمان بأن الاديب ابن بيئته وزمانه، وبان الادب نتاج ظروف سياسية واجتماعية يتأثر بها ويؤثر فيها. فأساس هذا المنهج هو توظيف التاريخ في خدمة النص الادبي.
يعمل الناقد الأدبي في المنهج التاريخي على تحديد العلاقة بين الأديب و المجتمع المحيط به ، و مناقشة كل الأفكار و الآراء التي تناولت العمل الأدبي .و أهم ميزات المنهج التاريخي في النقد الأدبي تأكيد صحة الأعمال الأدبية و صحة أصحابها المنسوبة إليهم، فهو حصيلة العلاقة القائمة بين التحليل و وسائل البحث و التدقيق، وذلك لما يطلبه الموضوع مع إمكانية الاستعانة بعلوم مساعدة بهدف الوصول للمعرفة.

أي نستطيع القول أن هذا المنهج يلقي الضوء على المعارف الخارجية في الدراسات الأدبية لتهيئة الحقيقة ،ولا بد من ذكر أن هذا المنهج لا يستقل بنفسه فلابد من التذوق من "المنهج الفني" فنحن بحاجة دائمة للحكم الفني إلى جانب الحكم التاريخي فمثلا : عند دراسة الأطوار التاريخية لموضوع معين في الأدب فسنقوم بجمع جميع المعارف و النصوص و المصادر و ترتيبها ترتيب تاريخي و نسبها إلى كتابها، ومن ثم سنجمع أراء النقاد و المتذوقين على اختلافهم ، و سندرس البيئة و كافة العوامل التي رافقت هذا العمل، ولكن لا بد لنا من تذوق ما جمعناه و هذا ما يدعى المنهج الفني المرافق للمنهج للتاريخي .

وهو منهج يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لتفسير الأدب وتعليل ظواهره أو التاريخ الأدبي لأمة ما ، ومجموع الآراء التي قيلت في أديب ما أو في فن من الفنون.
فهو – إذن – يفيد في تفسير تشكل خصائص اتجاه أدبي ما ، ويعين على فهم البواعث والمؤثرات في نشأة الظواهر والتيارات الأدبية المرتبطة بالمجتمع ، انطلاقا من قاعدة (الإنسان ابن بيئته).
ويتكئ النقد التاريخي "على ما يشبه سلسلة من المعادلات السببية : فالنص ثمرة صاحبه( الاديب) ، والأديب صورة لثقافته ، والثقافة إفراز للبيئة ، والبيئة جزء من التاريخ ، فإذا النقد تأريخ للأديب من خلال بيئته" ، وعلى هذا فهو "مفيد في دراسة تطور أدبي ما ، لكن لا في الكشف عن نتائج هذه الدراسة ، فالمنهج التاريخي – شأنه شأن الخطوط الأولية في الرسم – يمحى عندما تكتمل الصورة"؛ إنه بتعبير آخر "تمهيد للنقد الأدبي ، تمهيد لازم ، ولكنه لا يجوز أن نقف عنده ، وإلا كنا كمن يجمع المواد الأولية ثم لا يقيم البناء". ومع القصور الواضح الذي يطبع (المنهج التاريخي) فإنه يظل "واحدا من أكثر المناهج اعتمادا في ميدان البحث الأدبي لأنه أكثر صلاحية لتتبع الظواهر الكبرى في الأدب ودراسة تطوراتها"؛ إذ هو "المنهج الوحيد الذي يمكننا من دراسة المسار الأدبي لأي أمة من الأمم ، ويمكننا من التعرف على ما يتميز به أدبها من خصائص.

**أسس المنهج التاريخي وخصائصه:**

يقوم المنهج التاريخي في النقد الأدبي على الأسس الاتية :

1. الربط الآلي بين النص الأدبي ومحيطه السياقي ، واعتبار الأول وثيقة للثاني.
2. التدقيق على الأعمال الأدبية و النصوص التي تمثل مرحلة تاريخية يتم دراستها, و إضافة لذلك الاهتمام بدراسة المدونات الأدبية العريضة.
3.البحث في تاريخ الأمة السياسي و الاجتماعي، لفهم الأدب وتفسيره و دراسة مراحل نموه و تطوره، ولفهم كل الطرق التي يسلكها الأدباء في الأدب .
4. الدراسة التاريخية للكتاب تبين لنا الأوضاع السياسية و الدينية والاجتماعية ، فمن خلالها نستطيع تحديد أن هذا الكتاب حقا نتجية بيئته ،و ذلك لأن النص هو ثمرة كاتبه و الأديب نتاج ثقافته .

5. الاهتمام بالمبدع والبيئة الإبداعية على حساب النص الإبداعي ، وتحويل كثير من النصوص إلى وثائق يستعان بها عند الحاجة إلى تأكيد بعض الأفكار والحقائق التاريخية.
6. التركيز على المضمون وسياقاته الخارجية ، مع تغييب واضح للخصوصية الأدبية للنص.
7. التعامل مع النصوص المدروسة على أنها مخطوطات بحاجة إلى توثيق ، أو تحف مجهولة في متحف أثري ، مع محاولة لم شتاتها وتأكيدها بالوثائق والصور والفهارس والملاحق.

**آليات النقد التاريخي**

* 1. نسبة النص( أصيل، منتحل، منسوب لشخص)
	2. صحة النص( كامل، ناقص، مشوه)
	3. تاريخ النص( ظهور الطبعة الاولى والثانية والثالثة، التعديلات والاضافات على كل طبعة وأثرها في تطور الذوق والافكار
	4. تكوّن النص( المسوّدة،الطبعة الاولى، المخطوطة، علامض تدل التسويدات
	5. تقييم المعنى الحرفي للنص
	6. تقييم المعنى الادبي للنص( الافكار والقيم العقلية والعاطفية والفنية والاخلاقية والدينية والفلسفية)
	7. مخاض النص الادبي ودلالاته( اسباب ولادته، والامزجة التي استجاب لها، الدوافع والحوافز)
	8. نجاح النص أو فشله، وتأثيره

**مقولات واشكاليات المنهج التاريخي:**

* الاديب ابن بيئته وعصره
* البيوغرافيا والسيرة( التراجم)
* الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية
* (اشكالية النقد -التاريخ). توظيف التاريخ لخدمة الادب وليس العكس. التاريخ وسيلة للنقد
* العمل الادبي مرآة لنفس الاديب
* التاريخ الطبيعي لفصائل الفكر. كل اديب ينتمي الى نوع خاص من التفكير
* اشكالية عصر الاديب -الناقد( مراعاة عصر الاديب، نسيان عصر الناقد- عدم نسيانه)
* اشكالية الوثيقة التاريخية- الاثر الفني الجمالي

**أعلام المنهج وأبرز ممثليه:**

**1. سانت بيف** / Charle Augustin Sainte-Beuve (1804-1869) ، الناقد الفرنسي مؤسس النقد الادبي الحديث، ومن اوائل النقاد الذين أسهموا في دفع عجلة تطور المنهج التاريخي، وقد ركز على شخصية الأديب تركيزا مطلقا ، إيمانا منه بأنه "كما تكون الشجرة يكون ثمرها" ، وأن النص "تعبير عن مزاج فردي" ، لذلك كان ولوعا بالتقصي لحياة الكاتب الشخصية والعائلية ، ومعرفة أصدقائه وأعدائه ، وحالاته المادية والعقلية والأخلاقية ، وعاداته وأذواقه وآرائه الشخصية ، وكل ما يصب فيما كان يسميه "وعاء الكاتب" الذي هو أساس مسبق لفهم ما يكتبه ونقده. وقد عده محمد مندور عميدا للنقد التفسيري "الذي يحرص على الشرح والإيضاح ، والمساعدة على الفهم ، أكثر من حرصه على الحكم وتحديد القيم"[7] ، حتى وإن "كان نقده قد سمي بالنقد التاريخي فمن الواجب أن نفهمه على أنه هو النقد التفسيري"(2).

**2**. **هيبوليت تين** / H.Taine(1828-1893) ، الفيلسوف والمؤرخ والناقد الفرنسي الشهير الذي درس النصوص الأدبية في ضوء تأثير ثلاثيته الشهيرة :
أ- العرق أو الجنس (Race)؛ بمعنى الخصائص الفطرية الوراثية المشتركة بين أفراد الأمة الواحدة المنحدرة من جنس معين.
ب- البيئة ، أو المكان أو الوسط ، (Milieu)؛ بمعنى الفضاء الجغرافي وانعكاساته الاجتماعية في النص الأدبي.
ت - الزمان أو العصر(Temps)؛ أي مجموع الظروف السياسية والثقافية والدينية التي من شأنها أن تمارس تأثيرا على النص.
**3.** **فردينان برونيتيير** / F. Brunetière(1849-1906) ، الناقد الفرنسي الذي آمن بنظرية (التطور) لدى داروين (1809-1906) ، وأنفق جهودا معتبرة في تطبيقها على الأدب ، متمثلا الأنواع الأدبية كائنات عضوية متطورة ، فكما تطور القرد إلى إنسان ، تطور الأدب كذلك من فن إلى آخر وقد ألف كتابه (تطور الأنواع الأدبية) سنة 1890 ، على غرار كتاب (أصل الأنواع) لداروين؛ حيث رأى أن الآداب تنقسم إلى فصائل أدبية مثلها مثل الكائنات الحية ، وأنها تنمو وتتكاثر متطورة من البساطة إلى التركيب في أزمنة متعاقبة حتى تصل إلى مرتبة من النضج قد تنتهي عندها وتتلاشى وتنقرض كما انقرضت بعض الفصائل الحيوانية.
ومن الأمثلة التي يسوقها برونيتيير لتأكيد تطور الفنون بعضها عن بعض أن الخطابة الدينية (في القرن 17م) قد تحولت بموضوعاتها البارزة (كعظمة الإنسان وحقارته ، وزوال الحياة وفنائها ، والثقة بالطبيعة...) واستحالت إلى الشعر الرومنسي (في القرن 19م) الذي تغنى بالموضوعات ذاتها (التغني بالمشاعر الروحية والشكوى من الحياة واللجوء إلى الطبيعة)؛ فوحدة الموضوعات مع اختلاف الصياغة بين الوعظ والشعر دليل ، في نظر برونيتيير وفقا لنظرية داروين ولا مارك ، على أن هذا منحدر من ذاك!.. إلى جانب رموز النقد العلمي ، فإن هناك أعلاما آخرين أرسوا أوليات النقد التاريخي في أوربا ، نذكر منهم (1):
**4. غوستاف لانسون** / Gustave Lonson (1857-1934) ، ويعد هذا الأكاديمي الفرنسي الكبير الرائد الأكبر للمنهج التاريخي الذي أصبح يعرف كذلك بالانتساب إليه اللانسونيةLonsonnisme ، وقد أعلن لانسون عن هويته المنهجية سنة 1909 ، في محاضرة بجامعة بروكسل حول (الروح العلمية ومنهج تاريخ الأدب) ، ثم أتبعها سنة 1910 بمقالته الشهيرة (منهج تاريخ الأدب) التي نشرها في مجلة الشهر (Revue du moi) ، وقد حدد فيها خطوات المنهج التاريخي، حتى غدت تلك المقالة "قانون اللانسونية ودستورها المتبع" على حد تعبير أحد الدارسين(3).
ثم واصل هذا النشاط "الانسوني" أكاديمي فرنسي آخر هو ريمون بيكار (Rymond Picard) الذي دخل في معارك نقدية ضارية مع عميد النقد الفرنسي الجديد رولان بارت / R. Barthes (1915-1980 )، انتهت بالإطاحة بالمنهج التاريخي.

**عيوب المنهج التاريخي:**

يؤخذ على المنهج التاريخي ما ياتي:

1. اهتمامه بعناصر تفسير النص تفسيرًا تاريخيًا اجتماعيًا مما أدى إلى انكبابه على تفسير المضمون وإهمال الشكل الفني.
2. التفسير الظاهري و العام للنصوص الأدبية، دون التعمق في باطنه لاستخراج جماليته و تأثير ابداعه.
3. الاستقراء الناقص : بحيث من الصعب بل من المستحيل جمع كل شيء عن الأديب أو الشاعر من أول حياته، ويضرب النقاد مثالاً بما فعله طه حسين من دراسة شعر المجون في العصر العباسي ثم إصدار الحكم عليه دون دراسة بقية الفنون الأدبية من مدح وغيره
4. الأحكام الجازمة: ومثال تلك الأحكام قول بعض النقاد:"اتساع نفوذ الفرس هو الذي أوجد شعر المجون والخمريات" .
5. التعميم العلمي: ومثاله تعميم نظرية دارون في النشوء والارتقاء الخاصة بعلوم الإحياء في البحث الأدبي متجاهلين طبيعة الأدب .
6. نسيان أن الأدب ليس دائمًا تسجيلاً للواقع المعيش أو الماضي ولكنه كذلك تسجيل للآمال والأشواق المستقبلية والرغبات المكنونة في النفس الفردية أو الجماعية.
7. إلغاء قيمة الخصائص و البواعث الشخصية و تعد من أخطر مخاطر المنهج التاريخي ، أي إغفال العبقرية الشخصية و مدى تأثيرها في البيئة، فلكي يتم تصوير الأدب بصورة حقيقة يجب إدراك أهمية العنصر الشخصي ومزاجه على الطبيعة الأدبية والحقيقة الفنية .
8. المنهج التاريخي يتطلب الحصول على عدد كبير من المعلومات من [مصادر](https://www.manaraa.com/post/6589/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D8%B1-%D9%84%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A7%D8%A8%D9%82%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A) تاريخية. و كذلك لابد أن تكون هذه المعلومات صحيحة وصادقة، وتكثر المعلومات المغلوطة الموجودة في المصادر التاريخية.

**المنهج التاريخي في النقد الادبي عند العرب**

يمكن أن تكون نهايات الربع الأول من القرن العشرين تاريخا لبدايات الممارسة النقدية التاريخية ، على يد نقاد تتلمذوا – بشكل أو بآخر – على رموز المدرسة الفرنسية ، يتزعمهم الدكتور أحمد ضيف (1880-1945) الذي يمكن عده أول متخرج عربي في مدرسة لانسون الفرنسية؛ فهو أول أستاذ للأدب العربي أوفدته الجامعة المصرية الأهلية للحصول على الدكتوراه من جامعة باريس ، وقد حصل عليها برسالة عن بلاغة العرب في الأندلس (1).
بالإضافة إلى : طه حسين (1890-1965) ، وزكي مبارك (1893-1952) ، وأحمد أمين (1886-1954)،...
على أن محمد مندور (1907-1965) يمكن عده الجسر "التاريخي" المباشر بين النقدين الفرنسي والعربي؛ فهو أول من أرسى معالم "اللانسونية" في نقدنا العربي ، حين أصدر كتابه (النقد المنهجي عند العرب) مذيلا بترجمته لمقالة لانسون الشهيرة (منهج البحث في الأدب) ، وكان ذلك في حدود سنة 1946 ، ثم أعاد طبع هذه الترجمة (مرفقة بترجمته لمقالة ماييه "منهج البحث في اللغة") سنة 1964.
ومنذ الستينيات ، أخذ النقد التاريخي يزدهر في كثير من الجامعات العربية على أيدي أشهر الأكاديميين العرب الذين تحولت أطروحاتهم الجامعية إلى معالم نقدية يقتفي آثارها المنهجية (التاريخية) طلبتهم ، ويتوارثونها طالبا عن أستاذ ، حتى ترسخ المنهج التاريخي ورسم ترسيما أكاديميا (يوشك أن يبدو مطلقا !) ، وأصبح من المجازفة الأكاديمية أن يفكر الباحث الجامعي في بديل لهذا المنهج.
ومن رموز هذا المنهج : شوقي ضيف وسهير القلماوي وعمر الدسوقي في مصر ، وشكري فيصل في سوريا ، ومحمد الصالح الجابري في تونس ، وعباس الجراري في المغرب ، أما في الجزائر فيمكن أن نذكر : بلقاسم سعد الله وصالح خرفي وعبد الله ركيبي ومحمد ناصر وعبد الملك مرتاض (في مرحلة أولى من تجربته النقدية).